

أساليب مقاومة الأزمات الغذائية (المغرب الأقصى نموذجا ما بين 1510-1680م)

Methods of resisting food crises (Morocco as a model between 1510-1680)

(1) ط.د. / فلفول سماعيل Felfoul Smaine (2) أ.د. / شويتام أرزقي Chouitem Arezki

(1) جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله smaine.felfoul@univ-alger2.dz

(2) جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله achouitem@hotmail.com

المؤلف المرسل: ط.د. / فلفول سماعيل smaine.felfoul@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/11 تاريخ القبول: 2026/06/01 تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص: تتناول هذه الدراسة أساليب مقاومة الأزمات الغذائية بالمغرب الأقصى خلال الفترة بين 1510-1680م، لاشك أن المجتمع تعرض لهزة عنيفة جراء تعرضه للمجاعات فأثرت في سلوكياته للبحث عن الغذاء، فتنوعت بدائله لسد جوعه، منها ما هو مقبول والآخر غريب ومنحرف، فمن بين السلوكيات المقبولة أسلوب العودة إلى الطبيعة فاستهلكت منتوجات قبل نضجها، وأكلت الحشائش والنباتات البرية، والالتقاط والصيد، وتناول الأطعمة البحرية والنهرية، كما أن أسلوب التكافل والتعاون مجتمعا ودولة كان له أثره في توفير الغذاء، واتخذ المجتمع أسلوب الهجرة للبحث عن بدائل غذائية، أما السلوكيات المنحرفة تتمثل في الاستسلام للجوع وانتظار أجلهم المحتوم، والخروج من الإسلام والدخول في المسيحية، وبيع أنفسهم وذويهم، وممارسة التسول والبغاء، وقطع الطرق والسرقة، وأكل الجيف والحيوانات المحرمة في الإسلام، وأكل لحم الانسان وفضلاته، وهكذا تنوعت أساليب المجتمع في مواجهة الجوع، وبالتالي تعتبر هذه الدراسة مدخلا لدراسة سلوكيات المجتمع المغربي في البحث عن البدائل للحصول على الغذاء أثناء الأزمات الغذائية.

الكلمات المفتاحية: السعدية، المجاعة، القحط، المغرب، الجوع.

Abstract:

This study deals with methods of resisting food crises in Morocco during the period between 1510-1680. There is no doubt that society was subjected to a violent shock due to its exposure to famines, which affected its behavior in searching for food, so its alternatives to satisfy its hunger varied, some of which were acceptable and others strange and deviant. Among the acceptable behaviors was the method of returning to nature, so it consumed products before they ripened, ate grasses and wild plants, gathered and hunted, and ate seafood and river foods. The method of solidarity and cooperation as a society and a state also had an effect in providing food, and society adopted the method of migration to search for food alternatives. As for the deviant behaviors, they are represented in surrendering to hunger and waiting for their inevitable end, and leaving Islam and embracing Christianity, selling themselves and their families, practicing begging and prostitution, highway robbery and theft, eating carcasses and animals forbidden in Islam, and eating human flesh and waste. Thus, society's methods of confronting hunger varied, and thus this study is considered an introduction to studying Moroccan society's behaviors in searching for alternatives to obtain food during food crises.

Keywords: Saadia, Famine, Drought, Morocco, Hunger.

1. مقدمة:

عرف المغرب عبر تاريخه موجات من المجاعات العنيفة والمدمرة التي ضربت البلاد والعباد، وخلفت نتائج كارثية على جميع المستويات فأثرت على الانسان المغربي في سلوكياته لإيجاد الأطعمة، فأحدثت تحولا في النظام الغذائي، ولذلك سعي إلى البحث عن مخارج، وإيجاد بدائل لنظام التغذية المألوفة، لقد فرضت المجاعات على المغاربة إلى مواجهة الواقع وتسخير كل طاقاته لإيجاد ما يسد الرمق، واتبعوا كل السلوكيات سواء كانت شرعية او غير شرعية للوصول إلى الطعام، وانطلاقا مما سبق تبرز الإشكالية التالية: ما هي الأساليب المتبعة من طرف المغاربة للحصول على الطعام أثناء المجاعات خلال الفترة ما بين 1510-1680م؟ وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التالية:

1- أسلوب العودة إلى الطبيعة.

2- أسلوب التكافل والتعاون.

3- أسلوب الاستسلام والبغي والفساد.

4- أسلوب اللجوء إلى الأطعمة المقززة.

5- أسلوب الهجرة والبدايل الغذائية.

2. أسلوب العودة إلى الطبيعة:

إنّ تكرار حدوث الأزمات سواء كانت غذائية أو وبائية، قد أدّى إلى ظهور عادات وردود أفعال منها البحث عن بدائل غذائية أو علاجية خلال هذه الفترات المتأزمة، وأصبح الحل هو العودة إلى الأساليب البدائية⁽¹⁾، وتجنيد كل الطاقات للدخول في مواجهة الآثار السلبية بهدف إيجاد ما يسد به الرّمق⁽²⁾، وذلك باتباع أساليب مختلفة لإيجاد أطعمة بديلة زمن المجاعات منها:

1.2 استهلاك الأطعمة قبل نضجها:

تسجل المصادر عند حدوث مسغبة نفثي عدّة ظواهر مختلفة في المعاناة والتحدي، قد لا تؤدي في البداية إلى تجاوز حدود المعقول والاعتدال لكن تنفّلت فيما بعد إلى استهلاك الغريب والحرم، حيث يتبع السكان نظاما غذائيا استثنائيا يعمل على تسكين آلام الجوع لعدة ساعات محدودة، وذلك باستهلاك الأطعمة قبل نضجها، وفي هذا الصدد ثمة إشارات مصدرية تتعلق بسكان منطقة سجلماسة التي كانت فترات الجفاف تهددها باستمرار وعندما تجود السماء بالأمطار تتيح فرصة لنمو الزرع، مما يعطي الأهالي أو السكان حقا للمسارعة إلى جني زرعهم واستهلاكه قبل نضجه⁽³⁾، وهو ما تبينه بعض النصوص التي تذكر أنهم كانوا يأكلون الزرع في مدينة سجلماسة أثناء القرن الثاني عشر الميلادي إذا خرج شطاه " وذلك لغلبة الجذب عندهم "⁽⁴⁾، وتحت شدة المجاعة يضطر الناس إلى أكل البقول كما حدث في مجاعة 987هـ / 1579م وسميت هذه السنة بعام البقول⁽⁵⁾، ووردت نازلة أخرى تتحدث حول أكل الفول قبل يبسه لشد رمق الجوع وهذا ما يبين أنّ الحاجة إلى الغذاء تختزل الزمن العادي.

وقد تحدّث الشيخ الونشريسي في إحدى نوازله فقال فيها: "دافع الحاجة التي تدفع بمن يملك الزرع الأخضر فيأكل منه شيئا قبل يبسه"⁽⁶⁾، إذن من خلال النازلة تشير إلى دافع الحاجة الذي يضطر صاحبه لأكل الزرع قبل أوانه بسبب الإكراهات التي يفرضها الجفاف، مما يؤكد أنّ أكل الزرع قبل النضج يعد سلوكا ناتجا عن التخوف من شبح المجاعات.⁽⁷⁾

2.2 أكل الحشائش والنباتات البرية:

يشكل الخبز الغذاء الرئيسي في الدولة السعودية بالمغرب الأقصى وصمام الأمان في مواجهة الظروف الصعبة، ويمكن أن نصفه بشعرة معاوية التي تفصل بين الحياة والموت، ويعد الخبز الطعام الذي يحتفي سريعا من على الموائد بالنسبة للخاصة أو العامة، ويرجع ذلك لغلاء الأسعار والاحتكار في الأسواق، فكان لابد من تدخل السلاطين والولاة لتقنين وترشيد الاستهلاك، فيقومون بتوزيع الحبوب على الناس في فترات المجاعة بشكل مدروس حتى تمر الأزمة وتحسن الأوضاع المعيشية.⁽⁸⁾

في ظلّ المجاعة والخطر الداهم الذي يهدد حياة الناس سارع بعضهم إلى إيجاد بدائل غذائية تعوض مادة الخبز وذلك باستخراجها من نباتات مختلفة تنمو في البراري والوديان والجبال والسهول، فكانت أغلب ما يستهلك منها يستخلص ليُجعل بديلا من صناعة الخبز⁽⁹⁾، ومن هذه النباتات الطبيعية ثمار البلوط التي كانت تنتج بكميات كبيرة في مناطق المغرب، ويستهلكه السكان لغذاء بديل، وينقل منه إلى المدن خاصة مدينة فاس فيحقق لهم أرباحا وفيرة.⁽¹⁰⁾

كان الناس يجمعون ثمار البلوط من الأشجار في أماكن تواجدتها في الجبال ثم يعملون على تحفيفها وهذا بنشرها في أماكن مخصصة لتجف ويستحسن في الأماكن الظليلة، بعد ذلك يطحن ويخلط بحشائش أخرى ويصنع منه الخبز والرغيف⁽¹¹⁾، ويقول ابن البيطار في ثمار البلوط: "البلوط كثير الغذاء مثل الحبوب المتخذ منها الخبز وقد كان الناس في سالف الدهر إنما يغتذون بالبلوط وحده، وغذائه ثقيل غليظ عسر الانهضام..."⁽¹²⁾، وإلى جانب البلوط استرشد الناس إلى الكرنية وثمار العرعر والخرشوف البري ومختلف النباتات وعروقها، "... ففي سنة إحدى وعشرين وبسبب خطورة المجاعة ومعاناة السكان، خرج الناس رجالا ونساء للبحث عن بعض النباتات وعروقها ليقننوا منها..."⁽¹³⁾، وهكذا تمّ الشروع في البحث عنها ويدخل فيها الكرنية والخروب⁽¹⁴⁾، والشمار والخرشوف البري⁽¹⁵⁾ والأعشاب البرية⁽¹⁶⁾، إلى جانب نبات «يرني» وهو نبتة تتميز بساق أرضية مستديرة ومنفخة تحتضن برعماً رئيسياً. يُعد ملاذاً للناس في أوقات القحط لسد رمقهم⁽¹⁷⁾، وقد أكل الناس في بعض المناطق العشب مع الملح كما حدث في مجاعة 1072هـ/1661م، وهذا ما قاله عبد الله العياشي في مخطوطه الأحياء والانتعاش ما نصه: "إذ لم يكن لهم في أمد تلك معيشة إلا الربيع إلا ما كان منهم بخير يضع لأولاده الصغار حساء ويأكل هو وباقي أهل داره الربيع، فتري القوافل إلى الربيع كل يوم غادية رائحة... إلى بلاد دزير وجرسلوين... فيمتارون منه أنواعا من الربيع لا يقتصرون على نوع واحد منه فيطبخون تلك الأنواع جميعا في قدر واحد حتى تطيب فيعصرونه من الماء فيجعلون له شيئا من الملح... وبه صاموا رمضان أجمع"⁽¹⁸⁾، وتحت وطأة المجاعة اضطر الناس إلى أكل البقول وهذا ما حدث في مجاعة 987هـ/1579م بل سميت هذه السنة بعام البقول⁽¹⁹⁾، وكذلك الخروب والترفاس واللفت المحفور والكلخ والخردل بالإضافة إلى الحميضة وثمار العرعر، والثمار الفاسدة.⁽²⁰⁾

فهذه المعلومات تبين لنا تفوق السكان في غذائهم على ما تجود به الطبيعة والظروف المناخية في داخل الرقعة الجغرافية المستقر فوقها، فالمواد النباتية من حشائش وبذور فهي تشكل بديلا يتوسل به المغاربة في مواجهة نقص وانعدام الأقوات فيساهم ذلك في ميلاد عادات وسلوكيات غذائية لاجتياز المحنة ولكن البدائل السالفة الذكر تصير غير كافية عندما تطول المجاعة.⁽²¹⁾

3.2 اعتماد أسلوب الالتقاط والصيد:

لاشك أنّ التعرض للجوع سيؤدي بالإنسان إلى تغيير سلوكه ويرجعه إلى المستوى البدائي، ويحد من تطوره، فيرجع إلى القرون السالفة ليعتمد البدائية القائمة على الالتقاط والصيد والقنص وكلها ارتدادات ترجعه إلى الاقتصاد الطبيعي⁽²²⁾، حيث تتحول فيها ظواهر الجني والقطف من البراري والأحراش من سلوكيات اختيارية قبل الأزمة إلى الاضطرار مثل ما حدث عام البقول المعروف بعام كحيكحة 987هـ/ 1579م، وكذلك ما حدث في مجاعة 1058-1062هـ/ 1648-1652م، التي اعتمد فيها الناس تالكوهت وإيرني ودام ذلك سنتين، وكان الجياع يقطعون مسافات طويلة بأفواج كثيرة من أجل التقاط الثمار البرية حتى أنّ ذلك أصبح من المشاهد العادية والمألوفة⁽²³⁾، وكذلك ورد في "مخطوط الأحياء": "أن سكان تزرفت قاموا بادخار ثمار العرعر "... فكانوا يأخذون ما بأطراف دشورهم حتى فرغ طفقوا يوجهون اليه القوافل إلى المواطن البعيدة كسف جمر وأبعد منه فمنهم ذو صفحة وذو أقل وذو صحاف عديدة كل بحسب وسعه وطاقته سهل الله علينا هذا الرزق وكفانا منه من كل حرج وضيق " (24).

إلى جانب الجني والقطف، كان الناس يلجؤون إلى ممارسة الصيد وقنص الطرائد وملاحقتها ويحلونها في المقام الأول في معاشهم، وقد جعلوا في القنص مغيثا لهم، حيث كان المغرب يومئذ غنيا بالطرائد.⁽²⁵⁾

4.2 التحول نحو الأطعمة البحرية والنهرية:

إنّ حدة المجاعات تختلف من منطقة إلى أخرى من الجبل إلى السهل، ومن المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية، ومن البوادي إلى المدن، حيث تتميز كل منطقة بعادات وطرق خاصة بها في مواجهة أزمة الغذاء⁽²⁶⁾، بالإضافة إلى استنفاد الاحتياطات الغذائية البرية والغاية والتي يمكن أن توفر بديلا غذائيا يمكن إدارته في أوقات المجاعات لأهميته الكبيرة عند العامة، لذلك يسعى المصابون بالمجاعة للبحث عن مصادر غذائية في بيئة مختلفة عن ما عايشه الناس منذ مدة طويلة، وهي المناطق الساحلية والاتجاه نحوها للبحث عن ما يوجد به البحر من وفرة غذائية سمكية، كما تعد كذلك الوديان والأنهار مخزونا طبيعيا ومصدر مهما لاصطياد الأسماك والحيوانات البرمائية التي بقيت آمنة من هول الجفاف، وشكل نظامها البيئي مصدرا بنظام غذائي متنوع يمكنه من أداء دور الاحتياط في مواجهة الجوع.⁽²⁷⁾

لقد كان سكان ساحل البحر محظوظين أثناء الأزمات لما يوفره لهم البحر من غذاء وفير، يقومون بالالتقاط بلح البحر ويجففونه، ويبيعونه في الأسواق⁽²⁸⁾، لذلك نقول إنّ معظم المجاعات التي ضربت المغرب كان البحر بمعزل عنها، الأمر الذي يسهل على سكان السواحل بتوفير الأطعمة البحرية لتخطي الأزمة وتجاوزها.

3. أسلوب التكافل والتعاون:

إنّ توالي المجاعات خلال القرنين 10-11هـ/16-17م ببلاد المغرب الأقصى خلّفت مشكلة ديمغرافية حقيقية⁽²⁹⁾، كان لها تأثير سلبي على الاستقرار النفسي والاجتماعي الذي دام سنوات عديدة، فعجز المجتمع على التصدي لهذه المجاعات وضعفت قدرته على المجابهة ومجاراتها، فاتخذ أساليب عدة تمثلها سلوكيات طبيعية وأخرى منحرفة وذلك بلجوءه إلى أنواع وأشكال غذائية مختلفة للحصول على الطعام⁽³⁰⁾، ومنها أسلوب التكافل والتعاون الذي تنطوي عليه سلوكيات إيجابية من تكافل وإيثار ومختلف أعمال البر التي خففت من نوائب المساعب والأزمات وشاركت فيها شرائح مختلفة من المجتمع⁽³¹⁾، ولقد ظهر التكافل والتعاون في أساليب عدة وهي:

1.3 أسلوب استخراج المخزون:

إنّ الظروف الجوية من قلة المطر والبرد القارس والرياح القوية وسنوات عديدة من الجفاف، وقلة المخزون من الغذاء، كانت لها آثار كبيرة على الإنسان المغربي، إذ أدت بالمزارع إلى تخزين المؤونة والحبوب، وحدث نفس الشيء بالنسبة لسكان المدن الذين لجأوا خلال فصل الشتاء إلى تخزين الغذاء من حبوب وتمور وخشب للتدفئة، وأدت هذه الظروف إلى قلق كبير أصاب ساكنة الأرياف والمدن المغربية⁽³²⁾، مما جعلهم يفكرون في سبل لسدّ حاجياتهم، فأكثروا من تخزين الحبوب وبناء ما يسمى بالمطمورات (حفر حفرة أو مطمورة مغطاة داخل الأرض)، وذلك لادخار الحبوب والأغذية والإبقاء عليها أطول مدة ممكنة خوفا من الوقوع في المجاعة، وقد تنوعت وسائل التخزين التي يمارسها المغاربة حسب عاداتهم وبحسب مقر سكنهم سواء في القرى أو المدن.⁽³³⁾

إنّ التخزين عند المجتمع المغربي لم يمارسه الفرد فقط، بل أقام مخازن ذات طابع جماعي عند مداخل المدن أو بجانب المساجد في البادية⁽³⁴⁾، كما اتخذت في الريف قصبات جماعية للتخزين⁽³⁵⁾، ولم يكتفي المغاربة في تخزينهم على الحبوب فقط بل تنوعت لتشمل مواد غذائية أخرى، واستعملت القلال والجرار لحفظ الطعام، وتذويب الزبدة وتحويله إلى سمن وتخزينه في القلال، واكتيال الناس لما يحتاجونه من الزيت طول العام، إضافة إلى تجفيف الفواكه والثمار كالزبيب والتين وادّخار اللحم أو الخليع⁽³⁶⁾، "فبالنسبة إلى العادات الغذائية ... أثناء وقوع المجاعات وحلول المساعب ... هي تخزين الأطعمة التي تسمى " العولة "، حيث يخصص المغاربة في العادة ركنًا من المنزل أو غرفة تسمى " بيت العولة " أو " المونة " تخصص لوضع الجرار المهيأة بأصناف عدة من الأغذية ومنها " القديد " وهو اللحم المملح الذي يقدد بعد ذبح أضحية العيد والحمص والكسكسي والشعير والتين المجفف " الشريحة " والتمور خصوص لدى القبائل البدوية والقرى الواحية"⁽³⁷⁾، والذين كانوا يقومون بالتخزين أغلبهم هم الأغنياء لأنهم يملكون القوة لفعل ذلك، لكن ذلك لا يعني أنّ الفقراء كانوا يموتون بالجوع، وإنّما كان المجتمع المغربي يمارس سلوك التضامن الاجتماعي لمواجهة المجاعات، إمّا عبر تكثيف عمليات الوقف الإسلامي أو الصدقات التي كان يقوم بها الأغنياء للفقراء، وأيضا من خلال الأعمال الخيرية الأخرى⁽³⁸⁾، ولقد حظي تخزين الحبوب والمواد الغذائية عناية فائقة لدى المجتمع المغربي المهّدّد بالجوع والخوف والفقر، وهذا ما يفسر الانتشار الواسع للمخازن، وهي ثقافة جاءت كإفراز لطبيعة

العيش والنمط القائم على التخوف الدائم والاحتياط المستمر من هول المجاعة⁽³⁹⁾، فكانوا يعتمدون في غذائهم على الحبوب القديمة المخزنة والأغذية المجففة وصناعة البديل لمقاومة الجوع دون متعة أو تفنن في الطبخ.⁽⁴⁰⁾

2.3 أسلوب الاقتصاد والسلف في الغذاء:

في ظل استمرار المجاعات في المغرب لسنوات عديدة، ورغم الاستعدادات القبلية لمواجهة، فإنها في الغالب لا تنجح في صدّ حدّتها، فكل الإجراءات السلوكية فشلت في التخفيف من وطأتها، كبيع المتضررين من الجفاف بيوّتهم وعقاراتهم من أجل توفير احتياجاتهم من الطعام⁽⁴¹⁾، كما قام بعضهم برهن سكناتهم وأمام عجزهم عن الوفاء بيعت بأقل من ثمنها⁽⁴²⁾، وهو ما يبين الحاجة الماسة التي دفعتهم إلى الاقدام على التفريط فيما يكسبونه مقابل الحصول على ما يسد رمقهم ويحفظ أرواحهم⁽⁴³⁾، فقد أدّى هذا الوضع إلى الإستدانة من الأغنياء، وجاءت النصوص النوازلية مليئة بأمثلة كثيرة عن هذا السلوك، وما رافقه من عجز المستدين في أكثر الحالات عن أداء الدين الذي عليه⁽⁴⁴⁾، وبعضهم من أنكر ما عليه من الدين⁽⁴⁵⁾، كما بلغ بالناس الذين أدّت بهم المجاعة إلى حدّ إستلاف الطعام أو بيع وسائل الإنتاج، وكان هذا سبيل أغلب الناس من البسطاء والفقراء الذين تشير إليهم الأسئلة الواردة في كتب النوازل، حيث ورد في إحدى النوازل: "من إستلف زرا وكتب عليه، ثم طولب باقتضائه فلم يوجد لديه شيئا (كذا) فجعلنا لزراع القرض ثمنا بسوم وقتها بذلك فابتاع ربا الدين من غريمه أرضا....".⁽⁴⁶⁾

ومن بين السلوكيات الاجتماعية التي رافقت المجاعات تبرز ظاهرة الاقتصاد في الغذاء، والتي تتعلق بشرائح واسعة من المجتمع المغربي، بما في ذلك الفلاحين وسكان المدن الذين يعملون في مختلف مجالات الزراعة والرعي والحرف اليدوية طول حياتهم، وكانوا يقتصرون عادة على تناول طعام متواضع بسبب قسوة الظروف البيئية والاقتصادية، وكان المثال النموذجي لهذا النوع من الناس، هو الرجل المتقشف الذي كان يصوم بانتظام يومين في الأسبوع (الاثنين والخميس)، وثلاثة أشهر في السنة (رجب، شعبان و رمضان)، وكان يقتصر على تناول كميات محدودة من الطعام⁽⁴⁷⁾، فهذا النظام الغذائي البسيط له دور كبير في قدرتهم على التحمل ومقاومة الأزمة، وتجسدت هذه الثقافة في سلوك الجائع الذي يختلف تماما عن سلوك الشبعان الذي يعيش حياة البذخ والترف، ففي ثقافة الجوع يظهر سلوك قوة المقومة والقدرة على التحمل والصبر⁽⁴⁸⁾، فيعتاد الجسم على مقاومة الجوع أفضل من الذي عاش لرغد العيش، ولقد قدّم الباحث مُحمّد حبيدة مقاربة في تاريخ تغذية الإنسان مبيّناً أهمية ضيق العيش والنظام الغذائي في فهم تاريخ الجسد ومقاومته للجوع: "بيولوجياً يعد الإنسان الذي يملك ثقافة الندرة أكثر مقاومة للجوع"⁽⁴⁹⁾، وهذا ما يحيلنا إلى ما قاله الرسول ﷺ "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع".⁽⁵⁰⁾

عندما نعود إلى فترة المجاعة سنة 1071-1072هـ / 1661-1662م نجد أنّ السكان في جنوب المغرب نجحوا في التكيف مع الجفاف، ويعود هذا إلى طبيعة نمط التغذية الذي يعتمد بشكل كبير على التقشف وتجنب الاستهلاك الزائد، ويتضح أنّ الجفاف كانت وطأته أخف من الشمال، لأنهم يعتمدون على الشعير واللفت في "ندغوت ودادس"، والتمر الذي يعتقد أنّه يخزن ويعتمد عليه وقت الشدّة في واد درعة، خاصة عند كثرة الخوف والنهب⁽⁵¹⁾، وبين العياشي في كتابه "الإحياء والانتعاش" أنّ الناس تحسب حساباً للجفاف

وتقتصد مؤونتها في قوله: " وصاروا من قلقهم يراعون السماء، ويحسبون لها حساباً " (52)، وهكذا كان لزاماً على مغاربة هذه الفترة أن يغيروا من نظامهم الغذائي من خلال الاقتصاد وفق تبدل الأحوال وقلة الطعام زمن المجاعات.

3.3 أسلوب التكافل عند الزوايا والمجتمع:

لقد أدت معايشة الفقهاء والشيخوخ لأفراد المجتمع ومعاملتهم إلى كشف أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجاتهم، فبرزت أدوارهم اتجاه جميع الفئات الاجتماعية لأجل تحسين مستواهم المعيشي والحد من شدة الفقر عليهم خاصة في زمن المجاعات عن طريق تقديم المساعدات أو الدعاء لهم وحث الأغنياء على الصدقة للفقراء.

لقد نالت فئة الفقراء اهتمام كبير لدى الشيخوخ والوجهاء في المجتمع، فبدلوا جهودهم من أجل تغيير أوضاعهم مادياً ومعنوياً، ولم يترددوا في بذل العطاء من أموالهم.

ولو عدنا إلى ما قبل هذه الفترة (1510-1680م) فإننا نجد المصادر حافلة بهذه الأدوار ومنها: أن أحد المتصوفة في القرن السادس للهجري في مجاعة بمراكش قام بتوزيع الطعام على الجوعى فيقول التادلي في التشوف "جئني بالفقراء الذين بجامع على بن يوسف فأخرج قمحا ومننا كان عنده، ففرقه عليهم حتى لم يبق منه شيء". (53)

ومن المشائخ أيضا أبو العباس أحمد السبتي (ت 601هـ/1204م) كان محسناً مساعدا للفقراء واليتامى والأرامل ويحضر الناس على الصدقات (54)، وكان الشيخ أبي يعزى (ت 572هـ/1177م) يقدم الطعام لكل من يأتي إليه ويعلق دواجم، وكانت الصدقات تأتيه من إخوانه فينفقها على الزائرين (55)، وكذلك الشيخ أبي محمد عبد الخالق (ت 571هـ/1176م) والذي اشتهر بإطعام الطعام حتى أن الناس رأوا أن الاطعام شرط من تولي المشيخة. (56)

وبظهور الدولة السعدية استمر دور شيخوخ الزوايا في إغاثة الناس زمن امتداد القحط والجفاف وكان الشيخ أبو محمد الغزواني (ت 935 هـ / 1528م) يطعم الطلبة والمريدين خاصة أثناء المجاعات، فمثلا في سنتي 1520م/1521م فيما يسمى بالغلاء الكبير، قام الشيخ الغزواني بدور هام فكان لا يحتفظ بشيء لنفسه بل يقدمه لذوي الحاجات. (57)

ويقول ابن عسكر في الدوحة عن زاوية أحمد بن عبد الله بن حسين الأمغاري (ت 985 هـ / 1577م) لقد حضرت ... بزاوية أبيه في بعض المواسم.. وقد ذبح لهم بين يوم وليلة سبعمائة شاة من الغنم ومائتين من البقر ونحو عشرين من الإبل ... حضر اثنا عشر ألفا ونيفا وخمسمائة". (58)

وكان الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي (ت 1091هـ/1680م) " كثيرُ الاطعام لكل من يرد عليه ولو كانوا ألوفا، وقد بات عنده ليلة سبعة عشر ألفا، وعنده دار منفردة لليتامى الأرامل ... وفي زاويته عدد كثير من يقوم بمؤونتهم". (59)

وبرز دور الشيخ أحمد بن القاسم التادلي المعروف بالصومعي التادلي (ت 1013 هـ / 1604م) بإطعام الطعام فقد "كانت له زاوية بالصومعة يطعم فيها الطعام ... وترك بعض بنيه بالزاوية مقتفيا سننه في ذلك" (60)، كما ساهم الشيخ محمد أبو بكر الدلائي (ت 1046هـ / 1636م) في الإطعام "كان آية باهرة في إطعام الطعام للأضياف وغيرهم، وكانت له برمة أقل ما قيل إنها تسع من اللحم بقرة

أو ثور، وكسكاسها أكثر من وسق ما يخص به العطايا"⁽⁶¹⁾، وهذا يدل على كرمه الكبير وكان يطعم في سنة من سنين الغلاء والمجاعة آلاف من الفقراء كل يوم.⁽⁶²⁾

ذكرت النصوص المناقبية المحلية في الدلاء والصومعة وأبي الجعد وتانغملت أهمية الاطعام، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن موسى الوزاغي صاحب زاوية تانغملت الذي اعتبر أنّ تقديم الطعام زمن الجوع نوع من الجهاد⁽⁶³⁾، وكان لهذه الزاوية نظرة استراتيجية واستباقية لمواجهة الأزمات، فلقد لجأ شيخها إلى غرس شجر اللوز قرب الزاوية، وهذا من اجل مواجهة أزمة الجفاف مستقبلا، وحدث أن حلت المجاعة لجأ جيران الزاوية إلى أعداد عصيدة من اللوز وتقديمها إلى الجوعى⁽⁶⁴⁾.

وتشير المعطيات التاريخية أنّ الشيخ عبد العزيز البوكمازي شيخ زاوية تانغملت وهي إحدى فروع الزاوية الناصرية أرسل ابنه أثناء القرن 17م إلى درعة من أجل الاتيان بالتمر لإطعام الجوعى، فلجأ إلى تقديم التمر والحساء⁽⁶⁵⁾، ورغم المجهودات التي قام بها الشيوخ في إطعام الطّعام إلّا أنّه في حالات لا يكفي الطعام، فتحدث البركة في الطعام فتكون الكفاية من القليل، فأصبح ما يكفي عشرة يكفي المئات من الجوعى وهذا يسمى بتكثير الطعام، وهناك كرامة إحضار الطعام من العدم وتحويل أشياء غير صالحة للأكل إلى طعام مقبول⁽⁶⁶⁾، وسنذكر بعض الامثلة على ذلك منها:

الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي (1091هـ / 1680م) الذي كان رحيمًا بالمحتاجين والجمع "حيث أنّه كان معروفا بكثرة إطعام الطعام ببركاته ... ومن بركاته حضور بعض الأطعمة عنده في غير وقتها، ويذكر من إكراماته أنّه أطعم براويته في ليلة واحدة حوالي سبعة عشر ألف شخص"⁽⁶⁷⁾، وكان الشيخ محمد بن وسعدن السكتاني (ت 987هـ/1579م) "كثير الطعام... وكان الناس يأكلون براويته أربع مرات بين الليل والنهار، وبها من الطلبة سبعمائة طالب مرتبين، ودام على هذا الحال مدة أربعين سنة في الجذب والخصب".⁽⁶⁸⁾

وذاث مرة كان الشيخ أبو الحسن علي بن منصور اليزيدي المعروف بأبي الشكاوي (ت 1004هـ / 1595م) يسير مع أصحابه وجاءت عجوز بشكوتها وقالت ما عندي غيرها "... ثم قرب الشكوى وأخذ يخرج منها ويصب في القصب ويعطيها حتى ملأ قصاعاً كثيرة من اللبن والحليب فأكلوا وشبعوا"⁽⁶⁹⁾، وكذلك الشيخ سعيد ابن أبي بكر المشتراي (ت 956هـ/1549م) الذي كان يطعم الطعام ويساعد ويكفل اليتامى والضعفاء، وأوصى صاحب خزائنه وراعي بهائمه بتقديم الزرع من المخازن إلى المحتاجين، فيذكر ابن عسكر في الدوحة: "كنا ندخل في بعض الاحيان لمخازن الزرع فلا نجد فيها شيئا، فيأتي الخازن إليه ويخبره هنالك، فيرجع الخازن فيجد الزرع في المخازن ... فكانت البركة ظاهرة للعيان".⁽⁷⁰⁾

وورد في طبقات الحضيكي أنّ أبو عمرو المراكشي (ت 974هـ/1567م) "كانت له همّة رفيعة في إطعام الطعام، فلا يدخل أحد زاويته إلّا بادر الخدام له بإحضار الطعام على قدر الداخل، فسائر الناس يأكلون خبز الشعير، وما وجد من الفواكه معه، وفي الصباح الدشيش وفي المساء الكسكس".⁽⁷¹⁾

كما كانت لفئات المجتمع الواسعة مثل الأعيان وغيرهم دور في عملية التكافل، في مدينة تدنست إقليم حاحا أنّ هؤلاء القوم يسرهم أن يكرموا كل غريب، وإذا اتفق مجيء فقير غريب أسكنوه في ملجأ خاص بإيواء الفقراء وإطعامهم⁽⁷²⁾، كان في تكوليت أحد

الأعيان كرئيس لمجلسها، يتولى تدبير جميع شؤونها، وكان يملك ثروة طائلة ينفقها لاكتساب رضى الجميع ومحبتهم، يتصدق كثيرا ويعين الشعب بمباته فيما يحتاج إليه".⁽⁷³⁾

ويتنافس الناس على مختلف طبقاتهم في أعمال الخير وتقديم يد العون للفقراء في العصر السعدي، ويشير الشيخ ابن عريون (ت 992هـ / 1584م) في ذلك أنه في سنة الجفاف (978هـ / 1570م) أن الواجب على المتسع الحال أن يساعد الفقراء بماله وطعامه، " إما بتفريق ما فضل له عليهم، وإما بجمع بعضهم إليه وضمهم إلى عياله ليخرج من رذيلة البخل المذموم، ويقوم بواجب حق الله عليه من المواساة"⁽⁷⁴⁾، " وقال الشيخ عبد القادر الفاسي لينصح الناس على مساعدة الفقراء "إن مات بسبب غلاء المعيشة على كل إخوانه القادرين على إنقاذه يتحملون نصيبهم في الإثم بسبب تركه يموت جوعا".⁽⁷⁵⁾

4.3 أسلوب التكافل عند المخزن:

إن مصطلح المخزن الذي عرفت به الدولة في المغرب يعود في الأصل إلى الوظيفة الاجتماعية، وهي تخزين الفائض من الإنتاج في السنوات الجيدة لتسيير السنوات العجاف القادمة، لأن التخزين الرسمي يهدف إلى إمداد السوق والحد من الغلاء في سنوات الجفاف⁽⁷⁶⁾، لذلك استطاع السلاطين السعديون التعامل بكثير من الحكمة لتقديم المساعدة للمحتاجين والجوعى باتخاذ التدابير اللازمة في التعامل مع موجة المجاعات⁽⁷⁷⁾، حيث خصصوا موارد المخزن للتخفيف من حدتها، فسخر السعديون المؤن بأسعار معقولة، فكان السكان الذين تحت نفوذهم في بداية تأسيس الدولة بالجنوب أحسن من المغاربة في الجهات الأخرى خلال المجاعة بين سنتي 1521-1522م⁽⁷⁸⁾، في الوقت الذي أدت هذه المجاعة بالناس إلى بيع أبنائهم أو بيع أنفسهم مقابل قطعة من الخبز أو اعتناق المسيحية إنقاذاً لأنفسهم من الموت⁽⁷⁹⁾، ويذكر ابن القاضي (ت 1025هـ/1616م) أن السلطان أحمد المنصور الذهبي كان: "فمن مآثره الظاهرة، ومحاسنه الطاهرة، ما شاع من صدقاته في الأمصار والاقطار ... بل في كل وقت من السنة، يصرف في ذلك من الأموال ما لا يمكن أن يحصى ... ليرفع بذلك الفقر من فقراء مصره ومحتاجي عصره"⁽⁸⁰⁾، ويذكر السعدي عبد الرحمان أن أبو حسون السعدي لما تولى السلطة في فترة قصيرة في مراكش في مدة أربعين يوماً إذ يقول: " فوجد أهلها في غاية ضيق الغلاء فأخرج لهم من هدايا السلطنة من كل صنف من الطعام المدخرة ونشرها لهم ولذلك سمي بو الشعير"⁽⁸¹⁾، ولقد اتخذ أيضاً السلطان محمد الشيخ الأصغر سنة 1047هـ/1638م إجراءات مشددة للحفاظ على المخزون من الحبوب بقوله: "الرجل الذي تمتد يده إلى المطامير فيأخذ شعيراً أو حنطة سيتعرض للموت ..."⁽⁸²⁾، وهذا القول فيه الشدة اتجاه من تمتد يده إلى المخزون، وتعكس القلق من احتمال حدوث الجفاف، وتعجز السلطة على مواجهة الجوع، وبالتالي نقول أن التدابير السلطوية في فترات المجاعة لم تكن كافية لتجاوز الازمات التي أثرت على السلطة والمجتمع.

4. أسلوب الاستسلام والبعي والفساد:

إن الكثير من السلوكيات التي فسّر بها المجتمع المغربي وقوع الكوارث، كانت تعكس وضعه النفسي الذي تأثر بسبب المجاعة والابوة ومختلف الشدائد خلال هذه الفترة، والتي أثرت بتداعياتها نفسياً واجتماعياً، فكان الجوع له مردود مختلفة من مختلف الفئات الاجتماعية ترجمت ذلك من انتشار الأفعال العدوانية وسلوك الخوف والاستسلام.

إنّ تأثير المجاعة على المجتمع كان عميقا ومتعدد الجوانب، حيث أدّى إلى تغييرات في السلوكيات والتفكير الاجتماعي والنفسي لفئات واسعة من الناس، وأدّت إلى ظهور سلوكيات سلبية، عندما يتعرض المجتمع للمجاعة يشعر الناس بالضغط النفسي فيترجمها إلى سلوكيات منها تغيير الدين والدخول إلى المسيحية للحصول على الطّعام، وبيع أنفسهم وذويهم للبرتغاليين وممارسة البغاء والتسول والسّرقة وقطع الطرق... وغيرها.

إنّ هول المجاعة التي أصابت المجتمع خلال الدولة السعدية تركت بصمات عميقة على ضمير وذهنية العامة فوجدت نفسها دون رؤية واضحة، مما دفعها إلى تصرفات منحرفة.

تعكس هذه السلوكيات الغريبة تفاقم الأزمات والتحديات التي واجهتها مختلف الفئات الاجتماعية، وفرضت على الناس البحث عن مختلف الوسائل للبقاء ولو تطلّب ذلك انتهاك القيم الدينية والتقاليد الاجتماع.

1.4 سلوك تغيير الدين للبقاء على قيد الحياة:

إنّ الجفاف والقحط من الظواهر الدورية الطاغية في تاريخ المغرب خلال هذه الفترة والتي كانت نتائجها كارثية في جميع المستويات، ولقد اختلفت آثارها من فترة إلى أخرى ومن جهة إلى أخرى⁽⁸³⁾، إنّ هول هذه المجاعات أثر بشكل واضح على الذهنية الاجتماعية وكان من مظاهرها البحث عن الحلول للخروج منها، فخلالها وأمام العجز عن المقاومة بيدّل دينه ويدخل في الديانة المسيحية⁽⁸⁴⁾، فأزمة المجاعة بلغت بهم إلى الردّة، فلمتردين هم الذين عجزوا عن مجابهة الازمة ولكنهم لا يتمسكون بدينهم الجديد وانما تنصرهم بهدف الخروج من الازمة فقط⁽⁸⁵⁾، وهذا ما حدث في مجاعة 927هـ/1521م حيث اجتاحت "مجاعة شديدة في هذا القسم دون افريقيا، كما اجتاحت الجزيرة الإيبيرية فكانت من الفداحة أن اضطر معها المغاربة سكان أسفي وأزمور إلى طلب المرور من الملك دون منويل للمجيء إلى البرتغال عساهم، وقد اعتنقوا المسيحية أن يصيبوا فيها قوتا، وهذا مالم يكن في مقدورهم أن يفعلوه يومئذ في بلدهم بسبب ما كان فيه من قحط شديد".⁽⁸⁶⁾

يبدو أنّ فترات المجاعة وانعدام المواد الغذائية كانت لها تأثير كبير في تحولهم إلى المسيحية وهذا لاعتقادهم أنّ النصراني يتوفرون باستمرار على الغذاء.⁽⁸⁷⁾

لقد وصل الحال ببعض الفئات الاجتماعية إلى التخلي عن دينهم واعتناق المسيحية مقابل تحسين وضعهم المعيشي نتيجة لمحض ارادتهم وبسبب عجز الدولة السعدية عن تلبية احتياجاتهم وبالتالي لم يكن أمامهم خيار سوى اللجوء إلى الردّة، وتعكس هذه الظاهرة أزمة سيكولوجية لدى المجتمع، حيث يعتقد أنّها كانت نتيجة لتفشي المنكر والتخلي عن الدين الصحيح.⁽⁸⁸⁾

2.4 بيع ذويهم للحصول على الغذاء:

في ظلّ المجاعات مارس المجتمع بعض السلوكيات لحماية نفسه من الموت الذي يهددهم، ولقد شكل الاسترقاق إحدى الظواهر الشاذة التي سادت زمن المساعب، حيث اضطر الناس الذين استحكم فيهم الفقر والجوع إلى بيع أنفسهم أو يبيع أولادهم⁽⁸⁹⁾، "وكانوا يتخطفون بعضهم بعضا، ويبيعون أنفسهم إلى المسيحيين في القلاع والحصون بأسعار بخسة زهيدة، بحيث كان الرجل المغربي أو المرأة

المغربية يبيعان نفسيهما مقابل طبق من التين أو من الزبيب، وبلغت المجاعة من الفداحة أن صارت ببني البشر وليس شيء أرخص منهم".⁽⁹⁰⁾

شهدت الأحداث التي ذكرها رودريكس في حوليات أصيلا الذي كان شاهد عيان خلال مجاعة 927 هـ / 1521م في مناطق مثل آسفي وأزمور، حيث يتم أسر المغاربة الذين ليس لهم ولاء للبرتغال ويبيعونهم، لكن هناك أعداد أخرى تأتي من تلقاء نفسها وعن طوعية، حيث يقول الشاهد: "وكان قاطنوا تلك الدواوير يهاجمون دواوير بعيدة لا تدين بالولاج للتاج البرتغالي ويأسرونهم، ولم يكن البيع يقتصر على أولئك الأسرى المجلوبين بالقوة، بل كانت أعداد أخرى كثيرة تأتي من تلقاء نفسها وعلى طوعية إلى حد أنه حينها وصلنا إلى أزمور كان في النهر ما يناهز مائة سفينة مليئة عن آخرها بالشنابات لانعدام الراغبين في دفع أي رجال في شراء الرجال والنساء"⁽⁹¹⁾، و"بيعت فتيات أخريات من قبل آبائهن أو اخوانهن كما سبق ذكره، كان الطلب كبيرا وضاعت أزمور بالتجار وغصت بالأموال وكثرت السفن الراسية في النهر، ولكن التجار يشترون سوى فتيات في سن العاشرة إلى الخامسة والعشرين"⁽⁹²⁾، ويذكر الراوي الشاهد أيضا: "وقد انتقلت ورفاقي بين الدواوير، واشترت من شخص يسكن خيمة ابنته وحفيدته"⁽⁹³⁾، ويقول كذلك: "فقد اتصل بي أخوان وطلبا مني أن أشتري أحدهما، وبعد كلمات قليلة أظهرت لهما ثلاثة طوشطاو، فأخذها أحدهما وترك لي الآخر"⁽⁹⁴⁾، "وبلغ عدد أولئك الذين اشتريناهم وأركبناهم الكرفيلا أكثر من مائة وخمسين شخصا ... كان دوارت رودريكس وحده أكثر من مائة، وغادر التهر وقت إبحارنا أكثر من مائة وخمسين مركبا شراعيا محملا بالعبيد"⁽⁹⁵⁾، وهكذا بيع الأحرار سواء برغبته أو بالقوة في عمليات يستفيد منها البائع لما يحصل عليه من مال أو غيره لاقتناء القوت، وهذه ظاهرة قديمة عرفت في المجتمعات إبان الأزمات الغذائية.⁽⁹⁶⁾

3.4 ممارسة البغاء مقابل الطعام:

إنّ سلوكيات المجتمع المغربي أثناء المجاعات غالبا ما تتغير وتتكيف مع المحيط ومع ما تفرضه الظروف فاشتداد المجاعة واستمرارها تفرز فوضى اجتماعية وعادات غير مألوفة، ويتعلق الأمر هنا بانتشار البغاء خلال المساعب، فكانت هذه الظاهرة تتفشى بين النساء الفقيرات واليتيمات والمتخلى عنهن وغيرهن حيث لا يجدن ما يأكلنه لسد جوعهن سوى ممارسة الرذيلة لإطعام أنفسهن⁽⁹⁷⁾، وقد سجل شاهد عيان بمراكش أن مجاعة سنة 1037 هـ / 1637م "أجبرت حتى النساء العفيفات على احتراف البغاء من أجل كسرة خبز".⁽⁹⁸⁾ ولقد حصلت نفس الحوادث في ما بعد، ففي سنة 1164هـ/1750م "زنت امرأة خلال المجاعة بتطوان مع أحد الأغنياء".⁽⁹⁹⁾

4.4 ممارسة التسول:

إنّ المجاعات لها انعكاسات خطيرة على المجتمع كالأزمات والجوع والتي لها وقع مريع على الفرد، فصعب عليه تقبله أو التعامل معه وليس الفقر والجوع إلا وجه من أوجه نقص الغذاء والطعام⁽¹⁰⁰⁾، وأمام هذا الوضع المتردي مارس المجتمع سلوك التسول لحماية نفسه من شبح الموت الذي كان يهددهم ومنها ما وقع في زمن مفتي القرويين محمد بن أحمد التلمساني (ت1018هـ/1609م) حيث يذكر ابن عسكر في الدوحة: "أنه كانت وقفة في أيامه وطلب الناس منه أن يخرج للاستسقاء فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين"⁽¹⁰¹⁾، وهذا يبين الفاقة وممارسة التسول للحصول على الطعام، ويذكر في نازلة من النوازل الفقهية التي تنبه لها العلماء نتيجة

تزايد عدد المتسولين الذين فقدوا الأخذ بالأسباب، ومن الفتاوى الجواب الذي كتبه الشيخ محمد بن أحمد الدلائي المتوفى سنة (1136هـ/1724م) حول ما يقع زمن المسغبة من كثرة السؤال والذي انتهى فيه إلى التأكيد على التضامن والتكافل لمواجهة تداعيات الازمات والمساغب.⁽¹⁰²⁾

5.4 السرقة وقطع الطرق:

عرف المغرب مجاعات أثرت على ذهنية المجتمع ودفعته إلى ارتكاب سلوكيات تتجاوز الدين والعادات والأخلاق منها قطع الطرق للحصول على الغذاء، وسأذكر بعض الأمثلة خلال هذه الفترة.

في يناير سنة 1022هـ/1614م ارتفعت الأسعار وخاصة القمح، وهلك الناس بالجوع ومن نجا منهم كان هلاكه بالسيف لانعدام الأمن وانتشار الأخطار.⁽¹⁰³⁾

يذكر الافراني في النزهة أنّ عبد الله ابن الشيخ محلي سنة 1022هـ/1613م في مدينة فاس التي شهدت ظلما كبيرا، حيث كان أنصار عبد الله والذين معظمهم من شراقة يستبدون بالناس فسيطروا على الجنان والديار، "فكان الرجل يأتي لبستانه فيجد أعرابيا بخيمته في وسطه فيقول له أعطانيه السلطان، ومدوا أيديهم في حريم الناس ونهبوا الأموال، وجأهروا بالفساد وأظهروا السكر في الطرقات واقتحموا على الناس دورهم"⁽¹⁰⁴⁾، ويذكر الأفراني أيضا في سنة 1022هـ/1613-1614م: "وكثر الأموات... من عيد الأضحى من عام اثنين وعشرين إلى ربيع النبوي... وخلت المداشر ولم يبق للحظة إلا الوحوش، وكثر النهب في القوافل".⁽¹⁰⁵⁾

ويذكر عدد كبير الاخباري فاجدا (vajda) أن السلطان قام بنهب عدد كبير من الناس في مراكش ومات الأكثرية بالجوع⁽¹⁰⁶⁾، فكان النهب واستغلال القوة من جميع الأطراف قبائل أو أفراد من أجل أن تحافظ على نفسها واستمرارها، وبالتالي كان العنف بمختلف أشكاله أمرا قائما بين المجتمع، ومنها استيلاء الجيران على حبوب بعضهم البعض، في سنة 1061هـ/1651م يذكر القادري في النشر: "وتأخر نزول المطر ... وكان نهب كثير في القمح"⁽¹⁰⁷⁾، ويذكر أيضا أنه في سنة 1071هـ/1660م في "أواخر جمادى الثانية وانتهب قمح كثير في الفدادين مع عرب بني حسن ومن معهم"⁽¹⁰⁸⁾، ويذكر أيضا القادري في سنة 1072هـ/1661م "ومن حوادث هذه السنة أنّ في أوائل رمضان نزل السيد رئيس أبوعبدالله ابن محمد الحاج الدلائي على فاس، فحاصرها عشرة أيام، فأفسد الفواكه والزروع ونهب وسبى وأهلكهم".⁽¹⁰⁹⁾

5. أسلوب اللجوء إلى الأطعمة المقرزة:

يبحث المجتمع المغربي عن بدائل مختلفة وغير مألوفة من الأغذية وذلك عند اكتمال جميع الوسائل الممكنة لمقاومة الجوع، حيث يلاحظ أنّ الأفراد يستعدون عن المطعم الغذائي المعتاد وينتقلون إلى تجارب جديدة تتطلب التكيف مع أذواق غير مألوفة، فتظهر عادات وسلوكيات غذائية مستهجنة تنتهك المحرم إلى المباح، وتنتفي معها القيم الدينية والاجتماعية.⁽¹¹⁰⁾

إنّ الفترات الصعبة التي مر بها المجتمع في الحصول على غذائه اضطرته في أغلب الأوقات إلى تناول المحظورات، وهذا استناداً إلى قاعدة قبلية تبيح المحظور عند الضرورة لحماية نفسه من الهلاك.⁽¹¹¹⁾

قال الله تعالى: "فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" سورة المائدة، الآية 03، لذلك استرشد المغاربة زمن المجاعة إلى عدة سلوكيات منها:

1.5 أكل الجيف والحيوانات المحرمة:

خلال المجاعات أجبر الناس في ظل الظروف القصوى إلى أكل الجيف والحيوانات المحرمة، وعندما نتتبع المصادر والمراجع التاريخية نجد فيها الاشارات إلى ذلك، فقبل قيام الدولة السعدية يذكر ابن بطوطة عند زيارته لجنوب المغرب سنة 754هـ / 1353م فوجد أهلها يأكلون الجراد بقوله: "الجراد ... ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس"⁽¹¹²⁾، وعندما حاصر السلطاني المريني يوسف بن يعقوب سنة 706هـ / 1306م مدينة تلمسان فاضطر السكان إلى أكل "جميع الحيوانات من الفئران والعقارب والحيات وغير ذلك"⁽¹¹³⁾، ويذكر الادريسي أنّ أهل مراكش كانوا "يأكلون الجراد ويباع منه بما كل يوم الثلاثون حَمَلًا"⁽¹¹⁴⁾، ونتيجة للمجاعة فإنّ أهالي الغرب الإسلامي اضطروا إلى أكل الحشرات والحيوانات الضارة والهوام⁽¹¹⁵⁾.

وأثناء الدولة السعدية شهدت كذلك نفس المظاهر وبعضها حيث لجأ المجتمع في ظل الظروف الصعبة إلى أطعمة محرمة والتي تعتبر في الظروف العادية مقززة أو غير صالحة للاستهلاك، وكانت الجيف تمثل خياراً لهم للبقاء على قيد الحياة في بعض الحالات، كما لجأ بعض الناس إلى أكل الحيوانات المحرمة مثل لحوم الخنازير والحشرات ... وغيرها.

يذكر القادري في النّشر أنّ بعضهم في مدينة فاس اضطروا إلى أكل الجيف سنة 1063هـ / 1652م فيقول: "وأكلت فيه الجيف ... بوسط الصفارين"⁽¹¹⁶⁾، ويذكر أيضا "وأكلت الجيف، وكثر الموت بالأزقة دون ما في المارستان"⁽¹¹⁷⁾، ويذكر أيضاً في مجاعة 1072هـ / 1662م بقوله: "أكل لموتى والجيف"⁽¹¹⁸⁾، وحدث أن أكلت الجيف لما حاصر عبد الله بن السلطان مُحمّد الحاج الدلائي مدينة فاس في أواخر سنة 1073 هـ / 1662 م "وأكل الناس فيها الجيف والدواب"⁽¹¹⁹⁾.

ويذكر العياشي صاحب الاحياء والانتعاش أنّ بعض سكان مدينة فاس من أكل لحم الحمير في قوله: " ذكر أن في مدينة فاس، أكل الناس لحم الحمير، فقد كانوا يقومون بجزره على مرأى الجميع"⁽¹²⁰⁾.

2.5 أكل لحم الآدمي وفضلاته:

إنّ أبشع السلوكيات المنسلخة عن طبيعتها الفطرية هو ما أقدم عليه الانسان من أكل أخيه وفضلاته، فحينما تشد المجاعة وينعدم الغذاء يضطر الانسان إلى أكل كل شيء، والنصوص التاريخية تخبرنا عن ما حدث أثناء المجاعات، فيذكر اسماعيل بن الأحمر أنّ الناس اضطرت إلى "... حتى أكل بعضهم البعض، وكانوا يجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يابساً فيطبخونه ويأكلونه"⁽¹²¹⁾، وحدث في مجاعة 631هـ / 1233م عن سكان حاضرة مراكش أنهم "يبيعون فضلاتهم"⁽¹²²⁾، ولعل ما حدث في مجاعة 1073هـ / 1662م كان واضحاً من انحراف الانسان عن طبيعته التي خلقه الله عليها، وهناك عدة شهادات تاريخية عن ما حدث وهو أكل الانسان لأخيه، فيذكر العياشي في الاحياء والانتعاش "أنّ في مدينة فاس ... قد اشتدّ عليهم حتى أكلوا اللحوم الآدمية ولاسيما في منطقة بني إزكا"⁽¹²³⁾، ويذكر القادري في النشر أنّه في "مدينة فاس أكلت الناس ... لحم الآدمي"⁽¹²⁴⁾، ويقول "والناس يأكلون أولادهم"⁽¹²⁵⁾،

ويذكر أيضا القادري في إلتقاط الدرر: "أكل الناس الموتى والجيف بفاس وذبح الأطفال للاستراحة منهم والعياذ بالله"⁽¹²⁶⁾، وذكر الضعيف الرباطي: "وأكل الناس الموتى ... وذبح فيه الأطفال والعياذ بالله من سخطه"⁽¹²⁷⁾، وحدث هذا بسبب أن عبد الله بن السلطان مُجد الحاج الدلائي عاصر فاس لمدة عشرة أيام فسي وأفسد الفاكهة وغيرها سنة 1072هـ/1661م، كما يذكر صاحب الاستقصا: "ووقعت ... مجاعة عظيمة أكل الناس فيها ... الآدمي"⁽¹²⁸⁾.

ومن خلال هذه الشهادات، يتبين أنّ الانسان بلغ ذروة الفظاعة والمساوية فخرج من إنسانيته وأصبح أقرب منه إلى السلوك الحيواني، وبالتالي فالجوع يذهب العقل أمام الموت الذي ينتظرهم.

6. أسلوب الهجرة والبدائل الغذائية:

شهد المغرب في عهد الدولة السعدية موجات متتالية من المجاعات المدمرة التي خلّفت آثارًا عميقة على الحياة الاجتماعية للسكان، إذ حصدت أرواح عشرات الآلاف منهم، واضطر الكثير إلى مغادرة البلاد طلبًا للأمان وإنقاذًا لأنفسهم من الموت المحقق⁽¹²⁹⁾، كما أدى تفاقم الأزمة إلى اختلال التوازن وتحول المنطقة إلى مصدر نزوح للسكان نحو المناطق الأكثر أمانًا، حيث اتخذت حركة السكان مسارين رئيسيين، أحدهما عبر السهول والجبال، والآخر بين الشمال والجنوب، كما تنقلت المجموعات القبلية وفقًا لاحتياجاتها ومدى الأضرار التي لحقت بها نتيجة المجاعات⁽¹³⁰⁾، ودفعت موجات الجفاف الحادة التي اجتاحت المغرب إلى حدوث حركات هجرة اجتماعية نحو المناطق التي لم تتأثر بالأزمة أو التي كانت وطأها فيها أخف، وقد مثل الجنوب المغربي، سواء في مناطق الجبلية أو الصحراوية، خزانًا بشريًا انطلقت منه موجات من الهجرة الجماعية نحو السهول بغرض الاستقرار فيها، ويُفسّر ذلك، كما يشير أحد الباحثين، بأن محدودية الموارد في تلك المناطق الجبلية والصحراوية لم تكن كافية لتلبية احتياجات السكان الذين يتزايد عددهم بوتيرة سريعة، مما دفعهم إلى البحث عن ظروف معيشية أفضل في السهول⁽¹³¹⁾، كما فضّل بعض المغاربة الآخرين الانتقال من المناطق الداخلية إلى المدن الساحلية التي كانت تستفيد من واردات الحبوب⁽¹³²⁾، وتذكر المصادر أنّ السنوات 1025هـ/1614م و 1032هـ/1622م و 1035هـ/1625م عرفت أمطارا قليلة كانت تأتي في الغالب متأخرة⁽¹³³⁾، مما يؤدي إلى قلة المواد الاستهلاكية وارتفاع أسعارها⁽¹³⁴⁾، وتجددت الأزمة من جديد خلال السنوات 1036-1039هـ / 1626-1629م، حين عمّت المجاعة أنحاء المغرب كافة، وكانت وطأها شديدة على مدينة مراكش، إذ اضطرت أكثر من سبعمائة عائلة إلى مغادرتها⁽¹³⁵⁾.

يتضح من رسالة يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي (ت 1035هـ/1625م) الموجهة إلى السلطان زيدان بن أحمد المنصور (ت 1037هـ/1627م)، أنّ الأحداث الجسيمة التي عرفها المغرب خلال حكمه، وما صاحبها من مجاعات، قد أسهمت في انتشار الظاهرة نفسها بين سكان المناطق الساحلية، إذ ورد في الرسالة: "وأخبار أخرى ترد علينا من جهة السواحل أنّ الناس تباع فيها للعدو الكافر، دمره الله. ولم نر من اهتبل بذلك من قلدتموه أمور الثغور. فلم ندر هل بلغك خبر ذلك"⁽¹³⁶⁾، وبسبب المجاعات المتكررة التي ضربت بلاد المغرب، خلت العديد من المداشر من سكانها الذين اضطروا إلى الفرار نحو الممالك والمناطق الأقل تضررًا. وقد دفعتهم قسوة الظروف إلى الانتشار في الأرض بحثًا عما يسد رمقهم من الجوع، وهو ما شكّل موجة من الهجرة الداخلية⁽¹³⁷⁾.

أما الهجرة الخارجية نحو البلدان المجاورة كانت بدورها آلية اضطرارية بحثا عن الطعام كما هو الشأن بالنسبة لأزمة 1521م التي سجلت فيها عدد كبير من ساكنة دكالة ونواحيها صوب البرتغال واسبانيا، وقد تجاوز عدد المهاجرين خلال تلك المجاعة 100 ألف نسمة دخل منهم حوالي 60 ألف إلى اسبانيا حسب بعض الدراسات⁽¹³⁸⁾، فقد شهدت تلك الفترة ظاهرة هجرة جماعية للجائعين من أوطانهم، بحثًا عن مأوى في بلدان ومناطق أخرى، إذ بلغ الوزان خبر أنّ المجاعة التي عمّت إفريقيا سنة 927هـ/1521م " نالت ... منهم كثيرا إلى أن هاجر العرب المساكين عن طوعية إلى البرتغال يعرضون أنفسهم كعبيد لمن يعولهم حتى لم يبق منهم أحد بدكالة"⁽¹³⁹⁾، وزادت حدة المجاعة سنة 1071هـ/1661م، حيث ضربت مناطق تادلة وأزغار وبلاد الصحراء وسوس ودرعة، كما امتدت آثارها إلى مراكش وفاس⁽¹⁴⁰⁾، ففي الوقت الذي كانت فيه جبال الريف والاطلس والواحات مناطق للاستقرار خلال زمن الخصب تحولت خلال فترات القحط إلى مجال طارد للسكان الذين انتقلوا نحو سفوح الجبال والسهول المجاورة فحركة السكان بالمغرب الأقصى كانت حركية اضطرارية من مناطق المجاعات نحو مناطق وفرت أمنا غذائية.

يشير العياشي في كتابه الإحياء والانتعاش إلى أنّ المجاعة الكبرى التي وقعت سنتي 1071-1072هـ/1661-1662م خلفت آثارا عميقة، من أبرزها تحرك موجات بشرية من شمال البلاد نحو جنوبها، إذ كان سكان الواحات أقل تضررا مقارنة ببقية المناطق. لذلك قصد الناس منطقة درعة لاقتناء التمور، في حين وقّرت لهم دادس وتدغة كميات من الربيع والشعير واللفت.⁽¹⁴¹⁾

7. خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أنّ المجاعات التي ضربت المغرب في الفترة ما بين 1510-1680م أنها كانت سببا رئيسا في تغير منظومة الطعام، نتيجة الخلل الذي طرأ على المعروض من السلع الغذائية حيث تقلصت سواء بالإنتاج وتزايد في وتيرة الاستهلاك، وبذلك عجز المجتمع المغربي عن الحصول على غذائه، فاهتدى إلى سلوكيات عدة للحصول على الطعام، وعودة إلى المعطيات التاريخية التي تكشف بوضوح عن مجموعة من السلوكيات منها المقبولة والأخرى منحرفة، المقبولة في مقدمتها أسلوب العودة إلى الطبيعة، حيث التجأ الناس إلى البراري بحثا عن الحشائش والنباتات، والقطف والصيد والقنص، وأسلوب التكافل والتعاون من طرف الدولة والمجتمع. كما اهتدى الناس إلى سلوكيات منحرفة كقطع الطرق والسرقة وأكل خسيس الحيوان وأكل البهائم المحرمة والجيف، وبيع الناس بعضهم لبعض وأكل لحم أخيه الإنسان من أجل البقاء وتخلي بعضهم عن دينهم، وممارسة البغاء للحصول على الطعام وغيرها من السلوكيات السلبية. وبالتالي يمكن اعتبار هذه الازدواجية في ردود فعل المغاربة إزاء المجاعات منم فعل مقبول وفعل منحرف، تعتبر مدخلا لدراسة سلوكيات المجتمع المغربي خلال الدولة السعدية في البحث عن الحلول للحصول على الغذاء.

8. الهوامش:

- (1) ادريس بلعابد، الأثر النفسي والاجتماعي للأوبئة وأزمة الحاجات على بلاد المغرب الأقصى خلال العصر الحديث، مجلة قرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، م 13، ع 1، 2021، ص 94.
- (2) ابراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات، المغرب والاندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ / 12-14م فؤذا، عصور الجديدة، ع 7 و 8، مخبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، جامعة وهران، 2012-2013، ص 32.
- (3) نفسه، ص 33.
- (4) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب 1985، ص 201.
- (5) رشيد عباس، النظام الغذائي بالمغرب الإسلامي من القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري (12-15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد الرحمن بالاعرج، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2020-2021، ص 246.
- (6) ادريس أبو إدريس، مساهمة النمو في التاريخ الديمغرافي للمغرب، المجاعات وأثرها على النمو الديمغرافي أواخر القرن 16 – النصف الأول من القرن 18م، مجلة كنانيش، مجلة كنانيش، ع 01، منشورات كلية الآداب، وجدة، المغرب، 1999، ص 69.
- (7) إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 33.
- (8) رشيد عباس، مرجع سابق، ص 250.
- (9) إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 34.
- (10) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص 94.
- (11) يونس بوحسين، تغير العادات الغذائية للمغاربة زمن القحط والمجاعة: نماذج من الفترة الوسيطية والحديثة، مجلة ليكسوس، ع 38، دورية محكمة متخصصة في التاريخ والعلوم الانسانية، المغرب، ابريل 2021م، ص 49.
- (12) ابن البيطار، الجامع المفردات الأدوية والأغذية، ج 01، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992، ص 154.
- (13) برناردو رودريكس، حوليات اصيلا (1508 – 1535م)، مملكة فاس من خلال شهادة برتغالي، تعريب الدكتور أحمد بوشرب، ط 01، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 304.
- (14) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و 17م، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط 02، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، 2010، ص 176.
- (15) نفسه، ص 34.
- (16) Bernard Rosenberger et Hamid Triki, **Famines et épidémies au Maroc aux XVI et XVII siècles**, Hespéris Tamuda, Université Mohammed V, Edition Techniques Nord Africaines, Rabat, Maroc, 1974, p18.
- (17) Ibid, p36.
- (18) محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث (النماذج من القرنين 16 و 17م)، مقال ضمن: ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 262.
- (19) يونس بوحسين، مرجع سابق، ص 49.

- (20) عبد العزيز احديي، الغريب والعجيب في المجاعات التي ضربت المغرب ما بين القرن الخامس عشر ونهاية القرن التاسع عشر، مجلة مدارات تاريخية، م الأول، ع 05، ديسمبر 2019، ص325.
- (21) يونس بوحسين، مرجع سابق، ص50.
- (22) إبراهيم القادري يوتشيش، عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص36.
- (23) مُجد استيتو، مرجع سابق، ص261.
- (24) نفسه، ص262.
- (25) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص178.
- (26) جواد التباي، نماذج من عادات التغذية والتطبيب عند قبائل زيان خلال ق 20م، مجلة عصور، م 20، ع 01 (خاص)، ماي 2021، ص203.
- (27) رشيد عباس، مرجع سابق، ص262.
- (28) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص178.
- (29) مُجد استيتو، الفقر والفقر (نماذج من القرنين 16 و17م)، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص36.
- (30) فاطمة بوزاد، المناخ مدخل لدراسة النبات الذهنية للمجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، مجلة ليكسوس، ع 42، دورية محكمة متخصصة في التاريخ والعلوم الانسانية، ماي 2022، ص37.
- (31) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص96.
- (32) مُجد المنتفع، التقلبات المناخية والموجات الوبائية المشتركة بين المغرب والمجال المتوسطي خلال القرنين 16 و17م، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، م 02، ع 07، شهر جوان 2019، ص125.
- (33) بلال التليدي، المجتمع والسلطة والتعامل مع الوباء... دروس من تاريخ المغرب، نشر المقال يوم 20 مارس 2020، اطلعت عليه يوم 7 أوت 2025، أنظر الرابط: <https://arabi21.com/story/1257018/> المجتمع والسلطة والتعامل مع الوباء-دروس-من-تاريخ-المغرب
- (34) عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس (ق 6-8هـ/12-14م)، ط01، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008، ص125.
- (35) نبيل شريخي، موقف مجتمع المغرب الأوسط من المجاعات والأوبئة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و15م)، من خلال النصوص النوازية، مجلة الحوار المتوسطي، م الثاني عشر (12)، ع 01، ابريل 2021، ص133.
- (36) نفسه.
- (37) عادل النفاي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغرب: حفريات في أدب الرحلة القرن 16م في الهوية والتدين والثقافة، ط01، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص95.
- (38) مُجد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص415.
- (39) لوبني زير، كريم العرجاوي، الحدث المناخي والتحول السياسي: هل من علاقة؟، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، ع 08، الوادي، الجزائر، 2016، ص21.

- (40) عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 81.
- (41) نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 133.
- (42) أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والاندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 05، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص 102.
- (43) نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 133.
- (44) نفسه، ص 134.
- (45) نفسه.
- (46) محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات، ص 257.
- (47) محمد حبيدة، الزراعة والأغذية في المغرب قبل الاستعمار، ندوة اسطور: اشكاليات البحث في التاريخ العربي، مجلة أسطور، مجلة علمية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 04، تموز/ يوليو 2016، ص 267.
- (48) لوبني زبير، كريم العرجاوي، مرجع سابق، ص 49.
- (49) نفسه، ص 50.
- (50) برهان الدين الحلي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص 348.
- (51) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص 142.
- (52) نفسه، ص 141.
- (53) أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات 614هـ/1220م، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ط 1، الرباط، المغرب، 1984، ص 246.
- (54) العباس بن إبراهيم، الاعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الاعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج 1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1994، ص 236.
- (55) الحسن اليوسي (المتوفى عام 1102هـ)، المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج 1، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ص 320.
- (56) نفسه، ص 321.
- (57) حسن جلاب، الصوفي أبو محمد عبد الله الغزواني وطريقته من خلال كتابه النقطة الأزلية، ضمن كتاب جماعي: مراكش من خلال العصرين المريني والسعدي، أشغال الملتقى الثاني 1990، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش، ع 08، 1992، ص 141.
- (58) محمد ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1977، ص 97.
- (59) محمد الصغير الأفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم عبد المجيد خيالي، مركز التراث العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 317.
- (60) محمد الصغير الأفراني، مرجع سابق، ص 73.
- (61) محمد بن الطيب القادري، مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، ط 1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983، ص 104.

- (62) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص97.
- (63) لطيفة شراس، دور الصلحاء في مواجهة مشكل الخوف لدى المجتمع بين الواقع والكرامة: من خلال المجتمع التادلي في القرنين 16 و17م، مجلة دراسات، منصة الدوريات العربية، م 21، ع 22، 2019، ص207.
- (64) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص97.
- (65) نفسه.
- (66) لطيفة شراس، مرجع سابق، ص207.
- (67) بويركارن هشام، خصائص التصوف التادلي خلال العصر الحديث، مجلة البحث في العلوم الانسانية والمعرفية، م 01، ع 09 (الجزء 2)، السنة 01، ديسمبر 2024، ص101.
- (68) مُجَد الصغير الأفراي، الصفوة، ص238.
- (69) نفسه، ص103.
- (70) مُجَد بن عسكر، مرجع سابق، ص77.
- (71) مُجَد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص168.
- (72) الحسن بن مُجَد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة مُجَد حجي ومُجَد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص110.
- (73) نفسه، ص112.
- (74) مصطفى بنعل، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس، ج1، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007، ص224.
- (75) ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص244.
- (76) مُجَد الأمين البزاز، مرجع سابق، ص363.
- (77) مُجَد أقسقوس، جوانب من تاريخ الأوبئة والجوائح بسوس زمن السعديين، مجلة المناهل، مجلة فصلية تصدر عن وزارة الشباب والثقافة والتواصل، السلسلة الجديدة، ع 105، أبريل، ماي، يونيو 2020، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب، ص291.
- (78) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص61.
- (79) زين العابدين زريوح، الفقراء والسلطة بالمغرب خلال الحكم السعدي، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة باتنة 1، م 22، ع 01، جوان 2021، ص50.
- (80) أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق مُجَد زروق، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1986، ص346.
- (81) عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، نشره السيد هوداس، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، فرنسا، 1981، ص205.
- (82) سعيد إدحمان، صلاح اللياتي، مساهمة السلطة في ضمان الغذاء زمن الجوع: نماذج من المغرب خلال العصر الوسيط والحديث، مجلة ليكسوس الالكترونية، دورية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، ع35، أكتوبر 2020م، ص66.

- (83) بوشتي عرية، جوائح القرن 16م وآثارها على التشكيلة الاجتماعية بالمغرب، مجلة ليكسوس، الالكترونية في التاريخ والعلوم الإنسانية، ع 03، يونيو 2016م، ص55.
- (84) عبد العزيز احديبي، مرجع سابق، ص328.
- (85) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص92.
- (86) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص45.
- (87) عبد العزيز احديبي، مرجع سابق، ص326.
- (88) بوشتي عرية، مرجع سابق، ص52.
- (89) عبد العزيز احديبي، مرجع سابق، ص326.
- (90) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص45.
- (91) برناردو رودريكس، مرجع سابق، ص298.
- (92) نفسه.
- (93) نفسه.
- (94) نفسه.
- (95) نفسه.
- (96) مُجَد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات، ص259.
- (97) نفسه، ص258.
- (98) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص225.
- (99) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص92.
- (100) زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633-962هـ/1235-1554م) -جدل المثال والواقع-، أطروحة مكملّة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الوسيط، تحت اشراف د الطاهر بونابي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مُجَد بوضياف المسيلة، السنة الجامعية 2017-2018، ص186.
- (101) مُجَد ابن عسكر، المصدر السابق، ص80.
- (102) ادريس بلعابد، مرجع سابق، ص92.
- (103) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص122.
- (104) مُجَد الصغير الافرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص338.
- (105) نفسه، ص339.
- (106) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص122.
- (107) مُجَد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق مُجَد حجي وأحمد التوفيق، ج2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1982، ص53.

- (108) نفسه، ص 119.
- (109) نفسه، ص 129.
- (110) إبراهيم القادري يوتشيش، عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 31.
- (111) يونس بوحسين، مرجع سابق، ص 50.
- (112) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدّم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العريان، وراجعته وأعدّ فهرسه الأستاذ مصطفى القصاص، ج 1، ط 1، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987، ص 540.
- (113) إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1962، ص 61.
- (114) محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م، ص 235.
- (115) إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 38.
- (116) محمد بن الطيب القادري، النشر، مصدر سابق، ج 2، ص 134.
- (117) المصدر نفسه، ص 67.
- (118) نفسه.
- (119) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 7، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 28.
- (120) برنار روزنبرجي، حميد التريكي، مرجع سابق، ص 144.
- (121) إسماعيل بن الأحمر، مرجع سابق، ص 61.
- (122) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 325.
- (123) برنار روزنبرجي حميد التريكي، مرجع سابق، ص 108.
- (124) محمد بن الطيب القادري، النشر، مصدر سابق، ج 2، ص 129.
- (125) المصدر نفسه، ج 1، ص 224.
- (126) المصدر نفسه، ج 1، ص 155.
- (127) الضعيف الرباطي، مصدر سابق، ص 31.
- (128) أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ص 28.
- (129) محمد العمراني، صور من تداعيات الجماعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة الحوار المتوسطي، م الثاني عشر، ع 1، أبريل 2021، ص 142.
- (130) إدريس بلعابد، مرجع سابق، ص 95.
- (131) سعيد ادحمان، دور الأوبئة والجوائح المائية في الهجرات البشرية بالمغرب خلال العصر الحديث، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العام السابع، ع 68، أكتوبر 2020، ص 102.

- (132) عثمان المنصوري، المغرب والبرتغال – أبحاث من الأرشيف البرتغالي، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، 2017، ص22.
- (133) ادريس أبو ادريس، مرجع سابق، ص141.
- (134) نفسه.
- (135) نفسه.
- (136) الأفراني، النزهة، مصدر سابق، ص 314.
- (137) موساوي عبد العزيز، البدائل الغذائية أثناء المجاعة بالمغرب (مجاعة 1945م)، اطلعت عليه يوم 30 جوان 2025، أنظر الرابط: <https://mqqal.com/?p=30235>
- (138) سعيد إدحمان، مرجع سابق، ص103.
- (139) محمد استيتو، من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات، مرجع سابق، ص266.
- (140) ادريس أبو ادريس، مرجع سابق، ص142.
- (141) سعيد إدحمان، مرجع سابق، ص103.